

عنها في سائر الشرائع الإلهية، إصلاحاً للحالة المعيشية التي تلعب دوراً عظيماً في صالح الناس، وإبعادهم عن شر النسناس الخناس .  
وأخيراً يستجيش شعيب مشاعر التقوى في نفوسهم كما بدأ، تذكيراً لهم بخالق الخلق أجمعين:

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧٤):

﴿وَالْجِيلَةَ﴾ هي الخليفة المجبولة المطبوعة بطابع الفطرة التي فُطر الناس عليها، فهي كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، فمهما تحرك من الإنسان أي من أشيائه عقلاً وعلماً وجسماً، فالفطرة الإنسانية ثابتة كحجة بالغة لا تزول.

فالمؤمنون من الأولين كانوا يتقون، والمتخلفون منهم عن شرعة الله هم المتخلفون عن جبلتهم فلماذا قفوا آثارهم، فأنتم على آثارهم تهرعون؟!

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٧٥) ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِن نُّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٧٦):

صيغة مطردة مكرورة بين المكذبين برسالات الله، كأنهم تواصلوا به! شيطنة مدروسة مدسوسة بينهم كشریطة تدار على أسمع الدعاء إلى الله .  
ولا فحسب التكذيب، بل والتحدي بأن يأتوا بعذاب الله إن كانوا صادقين:

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٧٧) ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٧٨):

﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فلست أنا ولا أنتم، وهو أقدر أن يأتيكم بعذاب، وما أنا إلا رسول لا أقترح على ربي أصل العذاب ولا كمّه ولا كيفه ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ .

فحتى إن لم يأتكم عذاب لم يدل ذلك على كذبي في رسالتي، فإنها رسالة وليست ألوهية تقتضي القدرة على إتيان العذاب، ولا وكالة عن الرب أو نيابة تستدعي استجلاب العذاب.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩):

هنا عذاب يوم الظلة وللمدين الصيحة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ (١).

إذاً فيوم الظلة هي غير يوم الصيحة كما أن أصحاب الأيكة هم غير أهل مدين مهما كانت الرسالة إليهم واحدة فما هي - إذاً - الظلة؟.

يقال هي السحابة المظلة عليهم المظلة، وهم يحسبونها مظلة حيث أخذهم حرّ خانق خانق يكتنم الأنفاس ويثقل الصدور (٢)، ثم تراءت لهم هذه السحابة الظلة فاستظلوا بها فوجدوا لها برداً، فإذا هي تمطر عليهم ناراً، أم صاعقة مجلجلة تفزعهم فدمرتهم تدميراً (٣)، وعلى أية حال ليس هنا في النص إلا ﴿يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ولا بد أنها ظلة سماوية كما ﴿نَنْقَنَّا الْجِبِلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ (٤) ولكنها ظلة تدمير وذلة و﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ توحى بأنه كان شعبة من عذاب الجحيم (٥).

ذلك شطر من قصص الرسل والمرسل إليهم، السبعة، وما واجهوهم من التكذيب، وقبلها كلها ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ وهنا في الختام:

- (١) سورة هود، الآية: ٩٤.
- (٢) نور الثقلين ٤: ٦٤ عن تفسير القمي ﴿عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩] قال: يوم حر وكائم.
- (٣) المصدر في ﴿يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ بلغنا والله أعلم أنه أصابهم حرّ وهم في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الروح من قبل السحابة التي بعث الله ﴿رَسُولًا﴾ فيها العذاب فلما غشيهم أخذتهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين وهم قوم شعيب.
- (٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.
- (٥) في الدر المنثور ٥: ٩٣ عن ابن عباس في تفسير يوم الظلة: أرسل الله عليهم سموماً من =

﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ  
 مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَوْ  
 يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ  
 الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ  
 فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾  
 فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾  
 أَفِعْدَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا  
 كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ  
 قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذَرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ  
 الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ  
 لَمَعزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدِيَنَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ  
 عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾  
 فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾  
 الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّلْجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

= جهنم فأطاف بهم سبعة أيام حتى أنضحهم الحر فحميت بيوتهم وغلت مياههم في الآبار  
 والعيون فخرجوا من منازلهم ومحلثهم هاربين والسموم معهم فسلط الله عليهم الشمس من  
 فوق رؤوسهم فتغشتهم حتى تقلقت في جماجم وسلط الله عليهم الرمضاء من تحت أرجلهم  
 حتى تساقطت لحوم أرجلهم ثم أنشأت لهم ظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها  
 يستغيثون بظلها حتى إذا كانوا تحتها جميعاً أطبقت عليهم فهلكوا ونجى الله شعباً والذين آمنوا  
 معه .

الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُبَيِّنُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ :

فقد يعني الضمير الغائب ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ : القرآن، أم ويعني فيما يعني رسول القرآن، و«تنزيل» بديلاً عن «المنزل» علّه للتدليل على أنه كله منزل منه تعالى كأنه هو التنزيل، تنزيلاً من عليا الربوبية إلى دنيا العبودية، ومن عالي الغيب إلى ظاهرة الشهود للمربوبين، فليس تنزيلاً من مكان علٍ إلى مكان دان، وإنما من مكانة عالية إلى أخرى دانية، دنوّ الخلق عن الخالق مهما كان قلب الرسول العظيم ﷺ، والناس كلهم فقراء إلى الله وهو الغني الحميد الكبير المتعال العلي العظيم والقاهر فوق عباده، فرحماته رحمانية ورحيمية ليست إلا تنزيلاً من علوّ الربوبية إلى دنو العبودية. والتنزيل هنا يشمل مرحلتي: الإحكام في إنزاله دفعيًا، والتفصيل في تنزيله تدريجيًا، وهو فيهما إحداهما حديث الذكر ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّثًا...﴾ وليس إبراز العلم الأزلي حتى يكون قديماً كما الذات وصفات الذات.

وإضافة التنزيل إلى رب العالمين للتأشير إلى أنه يحمل ربوبيته العالمية الكافلة لتربية العالمين إلى يوم الدين، دونما نظرة وحي آخر يكمله أو ينسخه خلاف سائر الوحي.

ليس القرآن تنزيل الروح القدس الرسالي، ولا الروح القدس على

قلبه، فهذا وسيط الوحي وذلك مهبطه، وليس تنزيله إلا من رب العالمين كما يراه صالحاً للعالمين.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾:

نزل بالوحي الأمين الروح الأمين إلى الرسول الأمين ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ دون - فقط - سمعك، فمُنزَل القرآن هو قلبه المكين: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١). و﴿بِهِ﴾ هنا هو القرآن المفصل المنزل نجوماً، دون المحكم النازل عليه ليلة القدر، والسر النازل عليه ليلة المعراج، إذ لم يكن هنا وهناك لوحيه أي وسيط: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢) ولا صلة لتثبيت المؤمنين إلا بما يسمعون منه من الوحي المفصل دون الأسرار المستترة الخاصة بساحة الرسالة.

ودلالة أخرى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وليس القرآن المحكم بلسان عربي أو سواه، فضلاً عن ﴿مُبِينٍ﴾.

فجبريل الروح الأمين القدس نزل بالروح القرآن المفصل على قلبه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وهو أيضاً الروح القدس الأمين، فالنازل والمُنزَل والمُنزَل رُوحٌ قُدُسٌ أمين، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، وتراه كيف ﴿نَزَلَ... عَلَى قَلْبِكَ﴾ والقرآن المفصل بما يحمل من ألفاظ تُسمع لا بد لمنزله من أذن أو سمع؟ فهل أنه نزول المعنى دون لفظ كيلا يحتاج إلى أذن؟ والقرآن يعني كلا اللفظ والمعنى، فالمعنى دون لفظ لا يُقرأ وإنما يُلهم، وليس الملهم قرآناً ينزل حيث القراءة تخص اللفظ! ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنشِئْهُ فَأَتَّبِعْ لُحُنَّهُ﴾ (٣).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٣) سورة القيامة، الآية: ١٨.

فنازل الوحي إلى قلبه أعم من القرآن حيث يعم محكمه الذي لا يُقرأ ومفصّله الذي يُقرأ .

أجل وللقلب سمع هو أسمع من سمع الأذن كما له بصر، وليس سمع الأذن إلا ذريعة لسمع القلب كما بصر العين ذريعة لبصر القلب، وللقلب أن يسمع أو يبصر دون وسيط كما ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾ دونما وسيط .

وكيف لا و«القلوب أئمة العقول والعقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء» فالقلب إمام الأئمة فكيف لا يؤم به الحس وهو - فقط - مأموم غير إمام! وكيف لا؟ ومن لزامات الوحي ألا يسمعه إلا من يوحى إليه، فلو كان يحمل ألفاظاً صوتية - وبطبيعة الحال جاهرة حتى يُسمع - لكان يسمعه غير النبي ﷺ وقد كان يوحى إليه بمراى ومسمع من الناس، فهو يسمع وهم لا يسمعون، وإنما يرون كأنه يغشى عليه من وطأة الوحي! وكان ينفث في روعه قرآناً وسواه من وحي (١) .

فلا يُسمع إلى قول القائل إن النازل إلى قلبه هو المعنى - فقط - والألفاظ هي من صياغته ف ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . . . ﴿٢﴾ وأسخف منه أن القرآن بلفظه ومعناه من منشآت النبي ﷺ الملقاة من روحه الأمين إلى قلبه المكين، إذ ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ ﴿٣﴾ فَإِنَّمَا ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ . . .﴾ وهو ﴿لَنَنْزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهل أصبحت روحه الأمين رب العالمين حتى ينزل القرآن على قلبه؟! .

ليس النص «قرأه الروح الأمين عليك» أم «نزل به عليك» حتى يحتمل

- 
- (١) الدر المثور ٥ : ٩٤ - أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ .  
 (٢) سورة القيامة، الآيتان: ١٦، ١٧ .  
 (٣) سورة هود، الآية: ٤٩ .

قراءته على سمعه وإنما ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ وهو عمق الروح حيث تتفأد بنور الوحي، ولا بد للقلب من نورانية تامة طامة استعداداً لنزول الوحي القممة الأخيرة ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٩٥﴾:

﴿نَزَلَ... لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٩٥﴾ فالْمُنزَل هو القرآن العربي المبين ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ والغاية من ذلك الإنزال أن تكون من المنذرين، ولك اختصاص أن إنذارك ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أبين من سائر كتابات الوحي عربية وسواها، لو كان هناك قبل القرآن كتاب وحي عربي!، و﴿عَرَبِيٍّ﴾ هو الواضح المعرب عن معناه، و﴿مُبِينٍ﴾: يبيِّن الألسن ولا تبينه الألسن»<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوْلِينَ﴾:

هل «إنه»: القرآن ﴿لَفِي زُبْرِ الْأَوْلِينَ﴾؟ كما و﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾؟<sup>(٢)</sup> إذا فالقرآن نسخة عربية عن العهدين، وليس وحياً يستقل عن زبر الأولين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا يعقل أن محمداً ﷺ - وهو أعقل العقلاء - يدعي كذباً أنه يستقل

(١) نور الثقلين ٤: ٦٥ في أصول الكافي علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن الجمال عمّن ذكره عن أحدهما ﷺ قال سألته عن قول الله ﷻ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] قال: ...

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٣) كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمر يكن بمصر سنة ١٨٩٨ ص ٤ ج ٢ وكتاب «القرآن والكتاب» للأستاذ حداد البيروتي تحت عنوان: هل بين القرآن والعهدين اتصال ونسب؟ قائلاً: هنالك تصاريح من القرآن أن بينه وبين العهدين اتصال ونسب حيث: التوراة إمامه وهو في زبر الأولين وهو تفصيل وتعريب للكتاب المقدس وهو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وهم علماء أهل الكتاب ويجب أن يقتدي محمد في قرآنه بالكتاب وأهله وإذا شك فيه فليسأل أهل الكتاب ليعلموه! ثم يحتج لكل بآية أو آيات على حدّ زعمه تأتي عليها بجواباتها بطيات آياتها وكما فصلناها في كتابنا «المقارنات».

في وحي القرآن ليستغله في شرعة مبتدعة جديدة يدعيها أفضل مما قبلها، ثم يصرح أن القرآن نسخة عربية عن العهدين، هدماً لما بناه وهدراً لما تبناه، لتطول ألسنة علماء العهدين الناقلين عليه، ودون أن يأتي بشيء جديد للمشركين!

ثم واقع الحال في العهدين، المتوفرة فيهما التناقضات والمضادات للواقع وبين آياتهما، دون القرآن الذي لا اختلاف فيه، ثم اختلاف المواضيع بينه وبينهما تكميلاً لنقص أو نقضاً لباطل، وحتى في العرض القصصي، ذلك الواقع المتهافت بينهما وبين القرآن يبطل فرية أنه نسخة عربية عن العهدين.

ثم المشركون الموجهة إليهم - في الأصل - هذه التوجيهات، لم يكونوا ليؤمنوا بالأصل المزعوم للقرآن فضلاً عن الفرع القرآن! فكيف يقول لهم ولماذا؟ إنه نسخة عربية عن العهدين.

وكذلك الكتائبون حيث يعترضون: فإذا لست على شيء جديد، فلتكن لنا تبعاً وكيف ترجو أن نتبعك؟.

ثم وكيف يصرح أولاً: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ . . . ﴾ ثم يناقضه بـ ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ إذا فلم يوح إليه، إلا إلى الأولين وهو راسم رسمهم في هذا القرآن.

ثم ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١﴾ عَطْفًا عَلَى ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ يعني دليلاً ثانياً على استقلال وحي القرآن عما أوحى إلى الأولين، ولو كان علماً لهم أنه نسخة عربية لزبر الأولين لكان هدماً لبرهان القرآن أمام الكتائبين والمشركين بما ﴿يَعْلَمُهُ عُلَمَتُؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾!

أم «إنه»: القرآن بشارة له بوحيه بلسان عربي مبين، ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٧.

وكذلك رسول القرآن؟ وهذان واقعان لا مرد لهما مهما حرفت عن جهات اشراعها .

فبالنسبة لبشرى القرآن: ﴿... وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُم مِّنْ لِّشَاهِدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ... الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> ، وكما جاء في كتاب اشعيا نبا هذا الوحي العربي وإليكم الأصل العبراني نصاً (٢٨ : ٩ - ١٤):

«إث مي يوره دعاه وإث مي يا بين شموعا غكمولي محلاب عثمي مشاداي مي صولا صاو صولا صاو قولاً قاولاً قاولاً قاولاً زعير شام زعير شام ١٠ كي بلعجي شافاه وبلاشون أحرث يدبر إلهام هذه ١١ أشير أمر إليهم زئت همنوحاه هانيحو لعاييف وزئت همرجعاه ولا أبوء شموع ١٢ وهاياه لاهم دبر يهواه صولا صاو صولا صاو قولاً قاولاً قاولاً قاولاً زعير شام زعير شام لاهم دبر يهواه أنشي لا صون مشلي هاهام هذه أشير بيروشالام» ١٤ :

«لمن ترى يعلم العلم ولمن يفقه في الخطاب أَللمفطومين عن اللب لللفصولين عن الثدي ٩ لأنه أمر على أمر على أمر فرض على فرض فرض على فرض هنا قليل وهناك قليل ١٠ لأنه بلهجة لكناء بشفاه عجمية وبلسان غير لسانهم «العبراني» يعني «العربي» يكلم هذا الشعب ١١ الذين قال لهم هذه هي الراحة فأريحوا الراح وهذه هي الرفاهية فأبوا أن يسمعوا ١٢ لذلك سيكون كلام الرب لهم أمراً على أمر أمراً على أمر. فرضاً على فرض ثم فرضاً على فرض هنا قليلاً وهناك قليلاً. لكي يذهبوا ويسقطوا إلى الورا فيحطّموا ويصطادوا فيؤخذوا ١٣ لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ولأه هذا الشعب الذي في أورشليم»<sup>(٢)</sup> ١٤ .

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الدر المنثور ٥ : ٩٤ - أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن سلام قال : كان نفر من قريش من =

فهذه الآيات البيّنات بشارّة جميلة للقرآن ونبيه أنه يكلم هذا الشعب الإسرائيلي بغير لغتهم «كي بلعجي شافاه» بلسان أعجمي - غير لسانهم... ، ثم وبالنسبة للرسول ﷺ عشرات من البشارات سجلناها في «رسول الإسلام في الكتب السماوية» ويقول عنه القرآن: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

فالقرآن ونبيه والمواصفات القرآنية والرسالية المحمدية ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ على تحرفها (٢): ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾ (٣) .

﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ هُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٩٧):

الواو هنا عطف على آية القرآن نفسه وفيه الكفاية عن آية آية، ثم آية ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ لا فحسب للكتابين بل وكذلك للمشركين، حيث البشارة به فيها ملحمة غيبية تدل على أنه من غيب الوحي على الرسول الأمين .

فإن لم يكن لهم - كتابين ومشركين - آية بنفسه وببشاراته في زبر الأولين ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ هُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأحرار، غير المحرفين الكلم عن مواضعه، إذ لم ينسوا حظاً عما ذكروا به .

= أهل مكة قدموا على قوم من يهود بني قريظة لبعض حوائجهم فوجدوهم يقرأون التوراة فقال القرشيون: ماذا نلقى ممن يقرأ توراتكم هذه لهؤلاء أشد علينا من محمد وأصحابه فقال اليهود: نحن من أولئك براء أولئك يكذبون على التوراة وما أنزل الله في الكتب إنما أرادوا عرض الدنيا فقال القرشيون فإذا لقيتموهم فسودوا وجوههم وقال المنافقون ما يعلمه إلا بشر مثله وأنزل الله: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ - إلى قوله - : وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٦]

يعني النبي ﷺ وصفته ونعته .

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٦ .

(٢) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ .